مصيدة الثلج

محمود سالم

مصيدة الثلج

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

مصيدة الثلج

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٢ ٢٧٠٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
لغز اختفاء إلهام!	١١
بوارو ... يختفي أيضًا!	١٧
الدليل ... يقودهم إلى هناك!	٢٣
الوقوع ... في المصيدة!	٢٩
سنوي ... بطل المعركة!	٣٥
مصيدة جديدة من الثلج!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

لغز اختفاء إلهام!

قالت «زبيدة»: إن اختفاء «إلهام» بهذه الطريقة الغامضة يجعل موقفَنا خطيرًا للغاية! ردَّ «بو عمير»: أتصور أن هذا ليس اختفاءً عاديًّا؛ فلا بد أن يكون خلفَه شيء، إن لم يكن وراءه شيء فعلًا.

وقال «باسم»: كيف يمكن أن تختفيَ «إلهام» دون أن تترك أثرًا واحدًا، أو حتى تُرسلَ إشارة؟

أضافَت «ريما»: إن عملاء رقم «صفر» أيضًا، لم يقدِّموا تفسيرًا واحدًا يمكن أن نعتمد عليه!

كان الشياطين يجلسون في المقر السري يتحاورون حول اختفاء «إلهام» الذي حدَث منذ يومين. كانت «إلهام» قد خرجَت في مهمَّة سريَّة في «سويسرا»، لكنها بعد وصولها بأسبوع اختفَت تمامًا. كانت مهمَّتُها هي التعرُّفَ على عالِم الكيمياء «بوارو». وكان آخرَ تقرير لها، أنها استطاعت أن تتعرَّف عليه فعلًا، وأنها ... أوشكَت أن تكون محلَّ ثقته، ثم فجأةً اختفت.

ورغم أن عملاء رقم «صفر» في «سويسرا» قد قالوا في تقاريرهم: إنها اختفت بعد لقائها الأخير مع «بوارو»، إلَّا أنهم لم يُضيفوا شيئًا، وأصبح اختفاؤها لغزًا.

فهل اختفت عند «بوارو»، أو أنها اختفَت بعد خروجها من بيته؟

فإذا كانت قد اختفَت بعد دخولها بيتَ العالِم المعروف ... فلماذا؟ وهل اختفَت عن طريقه، أم أن هناك مَن كان ينتظرها في بيت «بوارو»، ثم تمَّ اختطافُها؟ وإذا كانت قد اختُطفَت بعد لقائها به، فمَن الذي اختطفَها؟ وكيف؟ وأين اختفت؟

كانت الأسئلة كثيرة، طرحَها الشياطين في حوارهم مع بعضهم البعض، لكنَّ الأسئلةَ كلَّها لم تجد إجابةً واحدة.

غير أن «أحمد» الذي كان يُتابع أخبارَ عالِم الكيمياء «بوارو» كان يفكِّر بطريقة أخرى، وعندما استدعاه رقم «صفر» ليعرف رأيَه في اختفاء «إلهام»، كان رأْي «أحمد» أن «إلهام» قد اختُطفت، وأن الاختطاف تمَّ بواسطة إحدى العصابات المنتشرة في «إيطاليا»، أو في هذه المنطقة كلها، بما فيها «سويسرا»، وأنه يرجِّح أنهم لا يعرفون «إلهام»، لكنهم يظنون أنها مساعِدة لـ «بوارو» ... خصوصًا بعد اكتشاف العالِم الكيميائي لتلك التركيبة الكيميائية الجديدة، التي أطلق عليها اسمَ «سر الحياة» ولم يُعلن عن تفاصيلها، وأن هذه التركيبة الكيميائية الجديدة تُفيد بالتأكيد شركات الأدوية، وأن اختفاء، أو اختطاف «إلهام» يعني أن تستطيع العصابةُ الوصولَ إلى سرِّ هذا الاكتشاف الجديد.

لقد أبدَى رقم «صفر» إعجابَه بطريقة تفكير «أحمد»، حتى إنه قال له: إنه أيضًا يُرجِّح أن تكون «إلهام» قد اختفَت بهذه الطريقة، لكنه لا يزال ينتظر تقارير العملاء في وسط «أوروبا» حتى تتضح الأمور أكثر ويستطيع الشياطين بعدها أن يبدءوا مغامرتهم لإنقاذ «إلهام»، وربما لإنقاذ «بوارو» أيضًا.

إلا أن «أحمد» لم يشرح وجهة نظره للشياطين ... فقد كان يريد أن يرى كيف يفكِّرون، وربما كانت لأحدهم وجهةُ نظر مفيدة، تُضيف إلى وجهة نظر «أحمد» شيئًا جديدًا؛ ولذلك كان يجلس معهم مستمعًا فقط. فقال «رشيد»: إن اختفاء «إلهام» له علاقة مؤكدة بعالِم الكيمياء «بوارو».

ردَّ «مصباح»: من الضروري أن يكون كذلك، لكن كيف؟

استغرق «رشيد» في التفكير لحظة، ثم قال: لا أظن أن «إلهام» قد اختفَت بواسطة «بوارو»، ومن المحتمل أن يكون شخصٌ آخر — لا علاقة له بالعالِم الكيميائي — هو الذي قام بتنفيذ عملية اختطاف «إلهام».

سأل «مصباح»: تعني أنها قد اختُطفت فعلًا؟

ردَّ «رشيد»: أُرجِّح ذلك.

ابتسم «أحمد» فلفتَت ابتسامتُه نظرَ «عثمان»، الذي قال: يبدو أن «أحمد» يُخفي شيئًا هامًّا؛ فهو لم يتكلم منذ عرفنا الخبر من رقم «صفر»، ومنذ أن جلسنا للمناقشة لم يَقُل كلمة واحدة.

قال «أحمد» في هدوء: إنني أتَّفق فعلًا مع وجهة نظر «رشيد».

أضاف «رشيد» بسرعة: إنني أرجِّح أيضًا أن هناك خطأً ما قد حدَث، جعل «إلهام» تختفي.

سألت «زبيدة»: ماذا تعني؟!

ردَّ «رشيد» وهو ينظر إلى «أحمد»: ما رأيك؟

ابتسم «أحمد» قائلًا: إنني في انتظار أن تنتهيَ من شرح وجهة نظرك؛ فربما تكون متشابهةً مع وجهة نظري تمامًا.

لكن قبل أن يبدأ «رشيد» في عرض وجهة نظره، كانت إشارة قد تردَّدَت في سماء الغرفة، تعني أن الشياطين مدعوون لاجتماعٍ سريع مع رقم «صفر».

ابتسم «أحمد» وهو يقول: أظن أننا سوف نعرف كلَّ شيء الآن أثناء الاجتماع.

ثم أضاف: ولعل وجهة نظر «رشيد» تكون هي الصحيحة.

ابتسم «عثمان» وقال: يبدو أن لديك معلومات.

ردَّ «أحمد» بسرعة: لا أظنُّ أن أحدًا من الشياطين يملك معلومات لا يعرفها الآخرون؛ فنحن نعرف كلَّ شيء معًا، لكن الفارق هو أن كلًّا منَّا يحاول تفسيرَ ما عنده، كما فعلَت «زبيدة» من بداية أسئلتها، وكما فعل «رشيد» في محاولة الوصول إلى شيء.

ولم يردَّ أحد فقد أخذوا طريقَهم إلى قاعة الاجتماعات، التي تعني أنهم سوف يخرجون منها، ليبدءوا مغامرتَهم وليُنقذوا أحدَ أعضاء الشياطين الـ «١٣».

كانت الساعة تدقُّ العاشرة صباحًا عندما بدأ الشياطين يدخلون قاعة الاجتماعات الكبرى، كانت الأضواء تغطِّي القاعة كأنها تَسْبح في الضوء.

ولم تكن الخريطة الإلكترونية مُضاءة، وكان الصمت يُحيط كل شيء. أخذوا أماكنهم في هدوء بينما كان مقعد «إلهام» خاليًا.

جاءهم صوت رقم «صفر» يقول: إن ما توصَّل إليه «رشيد» يكاد يكون هو الخط الرئيسي في تفكيرنا، وقد توصَّل «أحمد» إلى نفس النتيجة، وإن كان بتفاصيل أكثر.

صمت رقم «صفر»؛ فاتَّجهت أعينُ الشياطين إلى «أحمد» الذي ابتسم لهم ... بينما كان «رشيد» يشعر بالزهو هو الآخر. مرة أخرى جاء صوت رقم «صفر» يُضيف: إن ما يؤكد الخطأ — كما قال «رشيد» — هو أن «إلهام» لم تظهر، ولو كانت هناك أية إشارة تُفيد أن المختطفين قد اكتشفوا صفتها كعضو من الشياطين ... لكُنَّا قد عرفنا.

سكت للمرة الثانية، لكن لحظة سكوته لم تستمرَّ طويلًا؛ فقد قال: سوف أكون عندكم بعد دقائق؛ فهناك أنباء جديدة قد وصلَت ... وهي بين أيدي خبراء المقر السري.

شعر الشياطين بالانتعاش؛ فهذا يعني أن «إلهام» ليست في خطر، وحتى لو كانت في خطر، فإن هذه مهمة الشياطين، وهذا عملهم. نظرت «زبيدة» إلى «أحمد» وسألت: هل يعني هذا أن «إلهام» قد اختطفَتها إحدى العصابات؟

ردَّ «أحمد»: هذا هو المرجَّح، وربما تكون الأنباء الجديدة خاصة بهذه المشكلة.

قال رشيد: إنني لم أشرح وجهة نظري كاملة.

نظر الشياطين إليه، فقال: لقد ذهبت «إلهام» في مهمَّة محددة، هي التوصل إلى الاكتشاف الجديد الذي اكتشفه «بوارو»، وكانت آخر أخبارها ... أنها اكتسبَت ثقتَه وأنها تراه كثيرًا، هذا يعني أن «إلهام» أصبحت في نفس أهمية «بوارو»، خصوصًا بعد الإعلان عن اكتشاف «سر الحياة»، وهذا يجعلنا عُرضةً لأيِّ أطماع، ونحن نعرف أن عصابات العالم تنتظر دائمًا مثل هذه الاكتشافات الجديدة، التي تربح من ورائها الكثير.

توقَّف «رشيد» عن الكلام. فجأة، صوت رقم «صفر» يقول: هذا تحليل منطقي سليم تمامًا، وأعتقد أنه سوف يكون محقًّا في النهاية.

اختفى صوتُ رقم «صفر»، وملأ الصمتُ القاعة.

كان الشياطين يفكِّرون في وجهة نظر «رشيد» وتحليله الذي لم يخرج عن وجهة نظر «أحمد» أيضًا ...

مرَّت دقائق، والقاعة غارقة في الصمت. فجأة، بدأَت الإضاءةُ تَخفِتُ شيئًا فشيئًا. فَهِم الشياطين أن رقم «صفر» في الطريق، إلَّا أن صوتَ قدمَيه لم يتردد كالعادة ...

فجأة مرة أخرى، ظهرَت الخريطة الإلكترونية، وبدأت القاعة تغرق في الظلام لولا النور اللامع فوق شاشة الخريطة.

اتجه الشياطين إلى الخريطة ... ظهرت «أوروبا» كاملة. وتحدَّدت فوقها سلسلة جبال «الألب»، ومع ظهورها تردَّد في ذهن الشياطين أن المغامرة سوف تكون هناك. هذه المنطقة الصعبة، وهذه الجبال الشاهقة الارتفاع، بجوار أنها منطقة باردة تمامًا، لكن ذلك كله لا يُخيف الشياطين؛ فكثيرًا ما حقَّقوا انتصارات كبيرة في أماكن أكثر صعوبة.

فجأة تردَّدَ صوتُ أقدام رقم «صفر»، ظلَّ يقترب ويقترب، حتى توقَّف، مرَّت لحظة قبل أن يقول: مرحبًا بكم.

سكت قليلًا، ثم أضاف: إن عملاءَنا في وسط «أوروبا» قد استطاعوا تسجيلَ رسالة شفرية بين «سويسرا» و«إيطاليا»، لكنهم لم يستطيعوا حلَّها مباشرة، فأرسلوها إلينا ... وقد عكفَت الأجهزة الخاصة بحل الشفرة في المقر السري بكشف أسرار الرسالة، وهذا ما جعلني أتأخَّر عليكم قليلًا، وهذا ما جعلني أيضًا أُخبركم أن أنباء جديدة سوف تعرفونها.

سكت بعض الوقت ثم قال: إن هناك رسالة شفرية خاصة باختفاء «إلهام». ولم يُضِف رقم «صفر» كلمة أخرى؛ فقد ترك الكلمات التي قالها تُحدِث تأثيرها في الشياطين.

أضاف بعد لحظة: الحقيقة — كما يتضح من الرسالة — أنها ليست اختفاء ولكنها اختطاف، تمامًا كما توقَّعتُ، وكما توقَّعَ «أحمد» و«رشيد».

فجأةً، تردَّد صوتٌ متقطِّع، فَهِم الشياطين أن هناك رسالةً ما، فقال الزعيم: سوف أتغيب لحظة.

ثم أخذت قدماه تبتعدان.

بوارو ... يختفي أيضًا!

عندما اختفَت أقدامُ رقم «صفر»، قال «عثمان»: إذا كانت الرسالة الشفرية مرسلةً بين «سويسرا» و«إيطاليا»، وإذا كانت «إلهام» قد اختفَت من «سويسرا»، فإن هذا يعني شيئًا واحدًا، أن العصابة التي اختطفَت «إلهام» موجودة في «إيطاليا» الآن، وأن الرسالة كانت تعني الانتهاء من عملية الاختطاف.

أضاف «أحمد»: تمامًا، وإذا كانت هناك معلومات جديدة، فسوف تكون حول نَقْل «إلهام» من «سويسرا» إلى «إيطاليا».

قال «بو عمير»: أعتقد أن العصابة لن تكون في «إيطاليا» ذاتها؛ فالخريطة أمامنا تعني شيئًا آخر، ربما يكون مقرُّ العصابة في جبال «الألب» ذاتها، وأظن أنها منطقةٌ جيدة لكي تكون مقرًّا لأي عصابة.

أوشك «فهد» أن يقول شيئًا، إلَّا أن صوت رقم «صفر» جعله يتوقَّف؛ فقد جاء صوت الزعيم يقول: إن توقُّعاتِكم سليمة مائة في المائة، وسوف أكون بينكم حالًا ...

ولم تمضِ دقائق حتى كان رقم «صفر» قد عاد إلى مكانه، وبدأ يتحدَّث إلى الشياطين: إن عصابة «القبضة الحديدية»، هي التي خطفَت إلهام، وكما تقول الرسالة الشفرية بعد حلِّ رموزها: إن «إلهام» قد تم اختطافها من بيت العالِم الكيميائي «بوارو»، ونُقلت خارج «سويسرا» حتى تم ترحيلُها إلى «إيطاليا».

سكت الزعيم قليلًا، ثم أضاف: وكما قال «بو عمير»: إن مقرَّ العصابة ليس في «إيطاليا» ذاتها، إن مقرَّها في جبال «الألب»، وفي منطقة غير محددة حتى الآن، لكنَّ عملاءَنا يقولون: إن التعرف على هذه المنطقة لن يستغرق وقتًا، وإن الموجة التي يُرسلون عليها رسائلهم الشفرية سوف تُحدِّد مقرَّهم.

توقَّف رقم «صفر» عن الكلام، في حين أن الشياطين كانوا ينتظرون. مرَّت دقيقتان قبل أن يقول: إن المعلومات حتى الآن تكاد تكون كافية، يبقى فقط أن يستطيع العملاء تحديدَ مقرِّ العصابة؛ ولذلك فإن وجود «إلهام» في «سويسرا» الآن يعتبر شيئًا هامًّا جدًّا؛ لأنكم سوف تكونون بجوارها، وعندما يُحدِّد العملاء مكانَ المقر، سوف يكون عليكم إنقاذ «إلهام». إننا نريد أن نكسب الوقت، قبل أن يحدث ما لم يكن متوقَّعًا.

سكت قليلًا ثم قال: إن المجموعة التي ستقوم بالمغامرة هي «أحمد» و«فهد» و«عثمان» و«قيس» و«مصباح».

مرَّت لحظة قبل أن يقول: أتمنَّى للمجموعة التوفيق.

أخذت أقدام رقم «صفر» تبتعد شيئًا فشيئًا حتى اختفت تمامًا، في نفس الوقت كان الشياطين يغادرون القاعة حتى تستعدَّ المجموعة المكلَّفة بالمغامرة.

عند باب القاعة قال «أحمد» لهم: موعدُنا بعد ربع ساعة في مقر السيارات.

اتجه كلٌّ منهم إلى غرفته، أخذ أحمد طريقَه إلى حيث قسم المعلومات، وهناك ضغط على زرٍّ في تابلوه كبير، ثم أخذ مكانه في أحد المقاعد، أمام شاشة كبيرة مرَّت عدة دقائق ثم ظهر على الشاشة منظرٌ كامل لجبال «الألب»، ثم ظهرت المعلومات التي طلبها ... أخذ يقرؤها بسرعة ... وعندما انتهى غادر المكان مباشرة إلى غرفته، كانت عشر دقائق قد مرَّت، أسرع يضع في حقيبته السرية بعضَ ما يحتاجه، تبعًا للمعلومات التي عرَفها، ثم غادر غرفتَه بسرعة ... إلى حيث مكان اللقاء. وعندما وصل كانت المجموعة قد أخذت مكانها في السيارة، وكانوا في انتظار وصوله.

كان «فهد» يجلس إلى عجلة القيادة، وما إن أغلق «أحمد» باب السيارة، حتى انطلق «فهد» متجاوزًا المسافة الواسعة بين مقر السيارات وبوابات المقر السري، عندما اقترب من البوابات انفتحت تلقائيًّا، وعندما تجاوزها ... انغلقت في صوت مكتوم.

في نفس الوقت كان بقية الشياطين يشاهدون انطلاق السيارة على شاشة جهاز خاص في غرفة المتابعة.

كانت السيارة تنطلق في سرعة رهيبة، أما داخلها فقد كانت مجموعة الشياطين مستغرقة في هدوء تلقُّه موسيقى منبعثة من راديو السيارة ... لم يكن هناك ما يقال؛ فقد كان الجميع قلقين بشأن «إلهام».

نظر «أحمد» في ساعة يده، كانت قد تجاوزت الحادية عشرة بربع ساعة. قال في نفسه: إن وصولنا إلى المطار سوف يكون في وقت مناسب.

فجأة قطع «عثمان» الصمت قائلًا: يُدهشني أن الزعيم لم يختَر «رشيد» بين المجموعة.

قال «أحمد» الذي كان يجلس في المقعد الأمامي بجوار «فهد»: أظن أن الزعيم يقصد ذلك تمامًا!

سأل عثمان: الحقيقة أنني فكرت كثيرًا لكني لم أَصِل إلى نتيجة.

ابتسم «أحمد» وقال: تستطيع أن تسأل الزعيم.

قال «عثمان»: ألم يلفت نظرَك هذا؟

ردَّ «أحمد»: لا أظن أنني فكَّرت فيه لحظة؛ فالزعيم دائمًا يعرف ماذا يفعل تمامًا.

قال «عثمان»: أنا لا أعترض، إنني فقط كنت أحاول أن أفهمَ.

ردَّ «أحمد» مبتسمًا: أظن أنك سوف تفهم عندما تنتهي المغامرة.

شعر «عثمان» أنه أوقع نفسه في حكاية ليست لها نهاية؛ فلجأ إلى الصمت، غير أن «فهد» ابتسم وهو يقول: أعتقد أن الزعيم قد احتفظ بـ «رشيد» لمغامرة أخرى أظن أنها لن تتأخر طويلًا.

نظر له «أحمد» مبتسمًا ولم يعلِّق، في الوقت الذي تساءل فيه «قيس»: ماذا تعني؟

ضحك «فهد»، وشاركه «أحمد» ضحكَه، فقال «فهد»: أعتقد أن اختطاف «إلهام» ليس هو نهاية القضية، بالعكس إنه بدايتها.

أسرع «مصباح» يقول: تعني «بوارو»؟

أجاب «فهد»: بالتأكيد، ومَن يدري فقد تبدأ المغامرة القادمة، عندما نُرسل إلى رقم «صفر» نُعلن أننا انتهينا من مغامرتنا.

هزَّ «عثمان» رأسه، وقال: عندك حق، من الممكن أن يكون هذا صحيحًا.

ردَّ «فهد»: ليس فقط من الممكن، إنه من الضروري، إلَّا إذا تركنا «بوارو» للعصابة، وأعطيناها فرصة الاستيلاء على الاكتشاف الجديد.

قال «عثمان»: عندك حق.

ثم صمتَ الجميع، بعد أن توصَّلوا إلى أن هناك مغامرة جديدة في الطريق و... مضت ثلاث ساعات. ثم ظهر المطار من بعيد.

قال «فهد»: لقد وصلنا في الموعد المناسب، إن الطائرة سوف تُقلع بعد ربع ساعة.

وبعد خمس دقائق، كان الشياطين يقطعون بوابة المطار إلى الصالة الرئيسية، كان هناك مَن يقف في انتظارهم وفي يدِه التذاكر الخاصة بالسفر، تسلَّمها «أحمد» وشكره، ثم اتجهوا جميعًا إلى الداخل مباشرة، وفي دقائق، كانوا يصعدون سُلَّم الطائرة الذي انفصل

عنها عندما وضعوا أقدامهم داخلها، وكأنها كانت في انتظارهم ... دقائق أخرى ثم تحرَّكت في طريقها إلى الفضاء.

كان الشياطين يعرفون خُطَّتهم تمامًا ... إنهم لن ينزلوا في «سويسرا»؛ فأول هبوط للطائرة سوف يكون في مطار «روما».

وهناك سوف يكون اتصالهم بعميل رقم «صفر»؛ ولذلك استسلموا للنوم؛ فهم يعرفون الآن أنهم لن يحصلوا على أية معلومات تُفيدهم في مغامرتهم، ولم يستيقظ أحدهم إلا عندما كانت مذيعة الطائرة تُعلن عن ربط الأحزمة ... فهم سوف يهبطون خلال دقائق في مطار «روما».

استعد الشياطين، وما إن لمست عجلات الطائرة أرض المطار، حتى كانوا يتحفزون للنزول، وعندما توقَّفَت تمامًا، كانوا أولَ مَن وقف عند باب الطائرة، وما إن فُتح البابُ، حتى كانوا يغادرونها بسرعة؛ كانوا يتصرفون بسرعة. ولذلك لم تمرَّ دقائق أخرى حتى كانوا يغادرون المطار.

كانت السماء قد بَلَّلت الشوارع بأمطار غزيرة، وكان أول ما فعله «أحمد» وهو يغادر المطار، هو الحصول على جرائد اليوم، وعندما كانوا عند الباب، توقَّفوا قليلًا؛ فقد كانت السماء لا تزال تُمطر، حتى إن «فهد» ابتسم قائلًا: إن السماء تستقبلُنا بدموع الفرح!

ضحك الشياطين، في نفس الوقت الذي كانت عينَا «أحمد»، تمسح مكانَ انتظار السيارات وهي تبحث عن سيارة الشياطين، وعندما وقعَت عيناه عليها، قال: إنها في انتظارنا.

أسرع الشياطين إلى مكان السيارة، وفي دقائق كانوا يدخلونها الواحد بعد الآخر، وكان آخرهم «عثمان»، وعندما أُغلقت أبواب السيارة، جاء صوت عميل رقم «صفر» يرحب بهم، ويقول: لقد جئتم في الوقت المناسب.

سكتَ لحظة ثم أضاف: سوف تنزلون في فندق «بلوساكي»، أو «السماء الزرقاء»، وأظن أنكم لن تبقوا كثيرًا، فكل التفاصيل أمامنا الآن.

نظر الشياطين إلى بعضهم البعض، بينما كان عميل رقم «صفر» يُضيف: إنها مهمة شاقَّة في النهاية، وقد ظهرت صعوبات في تنفيذ المهمة، وإن كنت أعرف أنكم قادرون عليها.

سكتَ لحظة ثم قال: لا ينبغي أن تسيروا بسرعة، فهناك تفاصيل كثيرة يجب أن تقال لكم الآن ... قبل الوصول إلى الفندق.

مرة أخرى، نظر الشياطين إلى بعضهم البعض بينما كان عميل رقم «صفر» يقول: لقد نُقل العالِم الكيميائي «بوارو» من مكانه تحت حراسة مشددة إلى مكان مجهول.

امتلأت وجوه الشياطين بالدهشة، وربما بالتساؤل، غير أن صوت العميل جاء يقول: لقد نقلَته الحكومة الإيطالية خوفًا عليه، وهذا قد يجعل مهمة «إلهام» صعبة، وهي بين أيدي العصابة.

ثم أضاف بعد لحظة: إنها مهمة شاقَّة تمامًا.

الدليل ... يقودهم إلى هناك!

تجمَّدَت ملامح الشياطين، بينما كان «فهد» يقود السيارة ببطء ...

كان «أحمد» يفكِّر: إن العصابة سوف تعذِّب «إلهام»، وهي تتصور أنها المساعِدة الفعلية لـ «بوارو»، وعندما تكتشف العصابة أن «بوارو» قد اختفى، فسوف تكون حياة «إلهام» في خطر.

قطع أفكارَه صوتُ العميل يقول: إن مقرَّ عصابة «القبضة الحديدية» يقع بين خط طول ١٠ وخط عرض ٤٦، وهي واحدة من الهضاب التي تنتشر في جبال «الألب»، والوصول إليها ليس سهلًا، وربما لن تستطيعوا الوصول ما لم تكن لديكم طائرة.

توقَّف صوت العميل، فقال «أحمد» بسرعة: سوف نتصل بك فيما بعد!

ردَّ العميل: إنني في الانتظار.

نظر «أحمد» إلى «فهد» وقال: ينبغي أن نَصِل إلى الفندق بسرعة.

في نفس اللحظة كان يبسط أمامه خريطة لمدينة «روما»، بسرعة حدد اتجاه الفندق الذي اتجه إليه «فهد» مباشرة.

مضَت نصف ساعة، قبل أن يصلوا إلى الفندق؛ ذلك لأن المطار يقع خارج المدينة، وعندما ضمَّتهم غرفة «أحمد» في اجتماع سريع، كانوا يشعرون بالحزن؛ فقد كان نقل «بوارو» من مكانه مفاجأة مؤلمة لهم، ولم يكن هناك ما يقولونه.

إلَّا أن «قيس» قطَع صمتَهم قائلًا: ينبغي أن نتصل برقم «صفر»، فليس أمامنا ما نستطيع عمله الآن.

كان «أحمد» يقف قريبًا من النافذة، ولم يكن هناك ما يمكن أن يقوله، نظر إلى «قيس»، وقال: ليس بهذه السرعة، ينبغي أن نعتمد على أنفسنا أولًا ...

قال «عثمان»: إن المهمة ليست صعبة كما أرى، إن علينا الآتي أن نناقش الأمر بهدوء، ومن الضروري أن نَصِل إلى حلٍّ.

قال «أحمد»: أعتقد أننا في حاجة إلى بعض الهدوء، حتى نستطيع أن نفكر!

ثم نظر إلى «عثمان»، وقال: اطلب شايًا ساخنًا.

رفع «عثمان» سماعة التليفون، ثم طلب الشاي. في نفس الوقت اتجه «أحمد» إلى جهاز التليفزيون الموجود في الغرفة، ثم ضغط زرَّ التشغيل.

أخذ الشياطين يشاهدون برنامجًا إخباريًّا ظهر على الشاشة. ثم فجأة قُطع البرنامج لتظهر نشرة جوية. اهتم «أحمد» بالنشرة، ثم فجأة أسرع إلى الجرائد التي كان قد أحضرها من المطار، وتصفَّح أول صفحة، فوقعَت عيناه على خبر منشور يقول:

فقدَت أمس إحدى الطائرات الخاصة طريقَها أمام غزارة الأمطار، واضطر قائدها إلى الهبوط اضطراريًّا، الطائرة كان يستقلها الملياردير «جان بروفيمو»، وزوجته واثنان من أصدقائهما ... وكانت زوجة «بروفيمو» تصحب كلبها.

عاد «أحمد» إلى التليفزيون يشاهد النشرة التي انتهَت، ثم أعقبها تحقيق تليفزيوني عن الطائرة المفقودة، وصاحبها «جان بروفيمو» وزوجته والكلب، وظهرَت عدة صور للملياردير ثم زوجته وبصحبتها الكلب. وعندما انتهى التحقيق التليفزيوني، جاء تحذير من المذيع يقول: إن جهات الطيران المسئولة تحذِّر من طيران الطائرات الصغيرة في هذا الجو المتقلب.

كان الشاي قد حضر. أخذ الشياطين يحتسون الشاي الساخن، وكان «أحمد» قد استغرق في تفكير طويل.

ثم فجأة قال: إننا لن نستطيع التحرك الآن، وعلينا أن ننتظر.

ولم يكن أمام الشياطين شيئًا يفعلونه سوى مشاهدة التليفزيون، حتى موعد النوم، غير أن «أحمد» ظل قلقًا. كان يفكر في هذه الطائرة التي هبطت اضطراريًّا. قال لنفسه: هل يمكن استغلال هذه الطائرة؟ وهل حدثت كارثة فتحطمت أم أنها لا تزال سليمة؟ وكيف يمكن العثور عليها؟ ظل يُقلِّب الأمر من كل زواياه، ثم قال لنفسه مرة أخرى: من المؤكد أن عمليات بحث سوف تتم، فهل يمكن أن نكون أسرع في الوصول إليها؟

قام وذهب إلى النافذة، ونظر من خلال الزجاج، كانت الأمطار تنزل بغزارة، فكَّر: لو أننا بدأنا التحرك في الصباح — ولو أن الظروف ساعدتنا — فإننا نستطيع أن نفعل شيئًا.

في النهاية، استلقى «أحمد» على سريره، كان يريد أن ينال قسطًا من النوم حتى يستيقظ مبكرًا، وحتى يستطيع العمل طوال النهار؛ ولذلك استغرق في النوم بسرعة، لكنه

كان أولَ مَن استيقظ. أسرع إلى النافذة، كان المطر لا يزال ينزل بنفس الغزارة. ابتسم وقال لنفسه: هذه فرصتنا.

أسرع لإيقاظ بقية الشياطين، إلَّا أنهم كانوا جاهزين.

سأل «عثمان»: ما هي وجهتنا الآن؟

رد «أحمد»: إن تفاصيل حادث الطائرة، تُشير إلى أنها اضطرت إلى الهبوط من منطقة جيدة، ويمكن الوصول إليها، غير أن المسألة الآن هي ... هل سنكون سبَّاقين في الوصول إليها، أم أن أحدًا سوف يسبقنا؟

كان الشياطين يستمعون إلى «أحمد»، فسأل «فهد»: هل حددت المنطقة؟

ردَّ «أحمد» بسرعة: نعم.

بسط الخريطة أمامه، ثم بدأ يمدُّ خطوطًا تقاطعَت عند نقطة معينة، ثم قال: هذه هي.

ردَّ «فهد» بسرعة: إذن علينا أن ننطلق بسرعة.

سكت لحظة، ثم أضاف: إن سيارة الشياطين ليست كأيِّ سيارة أخرى، وإمكانياتنا سوف تُعطينا فرصة أكثر من غيرنا.

وفي دقائق كانوا قد غادروا الفندق إلى حيث مكان انتظار السيارات، وبسرعة كانت سيارة الشياطين تتحرك في طريقها إلى الاتجاه الذي حدَّده «أحمد» على الخريطة.

كان المطر يتساقط بغزارة شديدة، غير أن ذلك لم يكن يعطِّل سيارة الشياطين؛ فهي مزودة بجهاز كمبيوتر يجعلها تنطلق دون حاجة إلى سائق، وهي تستطيع أن تأخذ طريقها دون أن يعوقها شيء.

ضغط «فهد» على زرِّ جهاز التشغيل، فأصبحت عجلةُ القيادة بلا ضرورة، وحدَّد «أحمد» الاتجاه المطلوب، فلم يَعُد هناك شيء يعوقها إلَّا أن يُوقفَها «فهد».

في نفس الوقت ضبط «فهد» جهاز السرعة المطلوبة حتى يخرج من المدينة. كانت أشباح السيارات تظهر للشياطين من خلال زجاج السيارة، وهي تنطلق بسرعة متوسطة، ولا أحدَ يمشي في الشارع.

وعندما أصبحَت سيارة الشياطين خارج مدينة «روما»، ضبط «فهد» جهاز السرعة مرة أخرى على سرعة أكبر؛ فانطلقت بسرعة مائتي كيلو في الساعة.

لم يكن هناك شيءٌ في الطريق، كانت فقط الحقول الخضراء ممتدة وقد اغتسلَت بمياه الأمطار.

قال «قيس»: لا أظن أن أحدًا يمكن أن يصل إلى الطائرة قبلنا.

ابتسم «عثمان»، وقال: هذا إذا استطعنا أن نَصِل إليها.

ردَّ «أحمد»: لا تنسَ أننا نملك جهازَ رادار قويًّا يمكن أن يكشف وجودها.

هزَّ «عثمان» رأسَه، وهو يقول: إنني فقط أمزح!

ظلَّت السيارة منطلقةً بسرعتها العالية، والشياطين يتحدثون، إلَّا «أحمد» الذي كان دائمَ النظر من زجاج النافذة المجاورة له، وكأنه يبحث عن شيء. مرَّت ساعة، ضغط «أحمد» زرَّ تشغيل الراديو، فانطلقَت موسيقى هادئة. بعد قليل توقَّفت الموسيقى وأعلن المذيع عن نشرة الأخبار، التي بدأها بالنشرة الجوية، ثم أحداث الطريق، وفي النهاية، قدَّم تعليقًا على الطائرة المفقودة.

كان الشياطين يتابعون النشرة باهتمام، وعندما انتهت، علَّق «مصباح» قائلًا: يبدو أن السماء تساعدنا تمامًا.

فظهرَت منطقة الغابات، وقد اغتسلَت أشجارها بالمطر، فقال «أحمد»: إننا نقترب من منطقة الجبال.

سكت لحظة ثم أضاف: ينبغي أن نُبطئَ من سرعة السيارة حتى لا يفوتَنا شيء.

فجأةً صرخ: انتظر.

وبسرعة خفض «فهد» من سرعة السيارة، حتى توقَّفت. قال «أحمد»: عُد إلى الخلف بسرعة. في نفس الوقت أخذ معطفًا واقيًا للمطر، وألقاه فوق كتفَيه، كانت السيارة تعود بسرعة ...

فجأةً قال: قف.

أوقف «فهد» السيارة فنزل «أحمد» مسرعًا. كان الشياطين يراقبونه، وهم لا يفهمون شيئًا، لكنهم كانوا يراقبونه. أخذ «أحمد» يبتعد وهم يتتبَّعون خُطاه، حتى دخل بين الأشجار. كانت الأمطار لا تزال تهبط بنفس الغزارة. فجأة، لمَعَت عينَا «عثمان» وهو يقول: الكلب.

تقدَّم «فهد» بالسيارة إلى جانب الطريق، حتى أوقفها، وبسرعة نزل الشياطين، واتجهوا في اتجاه «أحمد» ... كان يقف تحت الشجرة، وقد حمل كلبًا أبيضَ بلَّله المطر، وكان يرتجف بشدة.

هتف «عثمان»: إنه كلب السيدة!

ثم أضاف: لا بد أن الطائرة في مكان قريب!

أخذ «أحمد» يُجفِّف شعر الكلب المبتل، ثم قال: أعتقد أنها لا تبتعد عنَّا كثيرًا.

قال «مصباح»: لكن الطائرة هبطَت أول أمس، وهذا يعني أنها في منطقة بعيدة.

ردَّ «أحمد»: لا أظن، فهم سوف لن يتركوا الكلب بمجرد هبوطهم، إنهم سوف يحاولون محاولات كثيرة، وأخيرًا سوف يهتدون إلى فكرة إطلاق الكلب، كدليل على وجودهم، بجانب أنه يمكن أن يُرشد عنهم.

علَّق «مصباح»: ربما.

نظر «أحمد» حوله قليلًا، ثم قال: إن هبوط الطائرة لن يكون داخل منطقة الغابات. من الضروري أن يكون بعدَها. إن ذلك سوف يحتاج منَّا إلى بعض الجهد لكننا سوف نرى.

قال «فهد» بعد لحظة: أقترح أن ننقسم إلى فريقين؛ فريق يستمر بالسيارة حتى انتهاء منطقة الغابات، وفريق يقطع المسافة وسط الغابة سيرًا حتى نهايتها.

ردَّ «قيس»: هذه فكرةٌ طيبة.

انقسم الشياطين إلى قسمين؛ مجموعة ضمَّت «أحمد» و«قيس» و«مصباح»، ومجموعة ضمَّت «فهد» و«عثمان». اتجهت المجموعة الثانية إلى السيارة. في نفس الوقت تقدَّم «أحمد» يقود مجموعته داخل الغابة، التي كانت أشجارها مرتفعة تمامًا.

أخرج «أحمد» بعضَ قِطَع البسكويت من حقيبته، وقدَّمها للكلب الذي أكلها بسرعة، فعلَّق قائلًا: لقد مشى الكلب مسافة طويلة، ويبدو أنه غادرهم منذ مدة طويلة، وإلَّا ما كان جائعًا إلى هذه الدرجة.

كان الكلب يلتصق بِحِضْن «أحمد» حتى يشعر بالدفء، فقال «قيس»: إننا لا نعرف الاتجاه الصحيح الآن؛ فقد نكون متجهين إلى منطقة أخرى.

فكر «أحمد» لحظة، ثم قال: هذه حقيقة، غير أن الكلب يمكن أن يدلَّنا.

أنزل الكلبَ إلى الأرض، فصاح وكأنه ينبح. ابتسم «أحمد»، ثم حمله مرة أخرى ... ووقفوا وهم لا يعرفون إلى أيِّ اتجاه يمكن أن يتَّجهوا إليه.

الوقوع ... في المصيدة!

فكَّر «أحمد» قليلًا ثم نظر إلى «قيس» قائلًا: استخدم جهاز الاستقبال، فربما يكون قائد الطائرة في حالة إرسال إشارات، لا تَصِل إلى مناطق بعيدة.

بسرعة أخرج «قيس» جهاز الاستقبال، وبدأ يحاول مع جميع الموجات التي يمكن التقاطها، لكن الجهاز لم يسجِّل شيئًا. فجأة، أمسك الكلب ثياب «أحمد» بأسنانه، وجذبها في اتجاه.

نظر له «أحمد» ثم ابتسم، وقال: إن اتجاهنا صحيح فالكلب يُشير إلى هذا الاتجاه.

تقدَّم الثلاثة. كان «قيس» لا يزال يحاول مع جهاز الاستقبال ... فجأة توقَّف، وعلَت الدهشةُ وجهَه. نظر له «أحمد» متسائلًا: ماذا هناك؟

رد «قيس» بسرعة: رسالة شفرية، يسجِّلها الجهاز الآن.

همس «أحمد»: شفرية؟! قد تكون من «فهد».

ظل «قيس» واقفًا لا يتحرك، وكأن الرسالة قد أفقدَته القدرة على الحركة. كان «مصباح» يتابع ملامح وجه «قيس» باندهاش. انتهت الرسالة، فأخذ «قيس» يُعيد الشريط الذي سجلها الجهاز عليه، ثم رفع الصوت، وأخذ الشياطين يستمعون.

كانت الرسالة تقول: ٢٩ – ٥ – ٥ – ١، وقفة ١٠ – ١، وقفة ٢٩ – ٧ – ٥ – ٩ – ٢٤ – ٤، وقفة ٤، وقفة ٢٩ – ٧ – ٦ – ٣ – ٩ – ١٠، وقفة ١٦ – ١٢ – ٢٨، وقفة ٢٩ – ٧ – ٤ – ٢٩ – ٦. انتهى.

ترجم الشياطين الرسالة الشفرية، ثم لمَعَت الفرحة في عيونهم.

وهمس «مصباح»: أخيرًا «إلهام».

قال «أحمد»: إن النقطة «هـ» التي حدَّدتها «إلهام» تقع على مسافة بعيدة.

بسرعة، أخرج خريطة من جيبه، ثم ظلَّل فوقها «قيس»، حتى لا يبللَها المطر. أخذ «أحمد» يحدد النقطة «هـ». وأخيرًا قال: إن عميل رقم «صفر» كان محقًّا، عندما قال إننا نحتاج إلى طائرة، للوصول إلى «إلهام»، فهي كما حددها العميل توجد في إحدى هضاب جبال «الألب».

تحرك الشياطين بسرعة، في الاتجاه الذي حدده الكلب، غير أن سرعتهم كان يتحكم فيها الطين الذي بلَّله الماء.

فجأة، سجَّل جهاز الاستقبال رسالة شفرية أخرى. كانت الرسالة تقول: ٣ – ١٦ – ٧ – ٥ – ٢٩، وقفة ٢٩ – ٧ – ١، وقفة ٥ – ٤ – ٢٩ – ١ – ٤، وقفة ٢٩ – ٧ – ١١ – ٢٩ – ٢٨ – ٤، وقفة ٢ – ١ – ٢٨ – ٢٢ – ٣، وقفة ٤ – ٥ – ٢٩ – ٨، وقفة ١٨ – ١ – ٢٩... انتهى.

ترجم «قيس» الرسالة، فقال «أحمد»: لا بأس إنهما لم يجدَا شيئًا، لكن هذا لا يعني أننا فقدنا الأمل، لا يزال الكلب هو أملنا.

ابتسم «مصباح» للتعبير، لكنه فجأة قال: من الضروري أن تكون مع الكلب رسالة، في طوق رقبته مثلًا.

قال «أحمد» مبتسمًا: إنه بلا طوقٍ على الإطلاق.

قال «مصباح» مرة أخرى: ربما تكون مخبأة في شعره.

فأجاب «أحمد»: لقد بلَّله المطر، ولو كانت هناك رسالة، فإنها تكون قد سقطت.

أخذوا يجدُّون في السير. قال «أحمد» وهو مستمر في تقدُّمِه: أرسل رسالة إلى «فهد» لنلتقيَ في النقطة «ج».

نفذ «قيس» الرسالة بسرعة، وجاءه الردُّ مباشرة يقول: نحن في النقطة «ج» فعلًا.

أخذ المطر يزداد، لكنه فجأة أصبح كرات صغيرة من الثلج. ضحك «قيس»، وقال: لقد وقَعنا في الثلاجة.

إلا أنه برغم سقوط الثلج كان الشياطين يتقدمون في حماس، فلم يكن هناك وقتٌ لتضييعه، خصوصًا وأن الثلج يعني توقُّفَ الحركة نفسها.

قال «مصباح»: لو استمر هبوط الثلج بهذه الطريقة، فلن نستطيع أن نفعل شيئًا.

ردَّ «أحمد»: لا أظنه سوف يستمر.

أضاف «قيس»: مَن يدري؟

غير أنَّ هبوط الثلج ازداد، لكن ذلك لم يمنعهم من السير؛ فقد كانت الأشجار تحجب عنهم الكثير.

بعد فترة، وصلوا إلى نهاية الغابة، حيث كان «فهد» و«قيس» في انتظارهما.

كانت السيارة، قد أصبحت كتلة من الثلج، وكان «فهد» و«عثمان»، يقفان وكأنهما تمثالان أبيضان ... ابتسم «مصباح»، وقال: يبدو أننا وقعنا في مصيدة من الثلج.

علَّق «قيس»: ولن نجد مَن يُنقذنا منها.

تحرَّك «فهد» و«عثمان». كانت أنفاسهما تبدو «كشبورة» كثيفة. اجتمع الشياطين.

فتساءل «عثمان»: هل نستطيع أن نستمر؟

ردَّ «أحمد» بسرعة: هذه فرصتنا، فإن أحدًا لن يتحرك في هذا الجو، ونحن نملك ما يجعلنا قادرين على الحركة.

كان الشياطين يملكون فعلًا ما أشار إليه «أحمد»؛ فهم يملكون معاطف مكيَّفة، تعمل ببطاريات. في نفس الوقت، كانت لديهم كُرات خاصة يمكن أن تُذيبَ أيَّ شيء متجمد ... وهي كرات لا يملكها غيرهم، استطاع علماء المقر السري اختراعها لمثل هذه الظروف، وكان «أحمد» وحده الذي يحملها في حقيبته السرية؛ ولذلك أخرج بعضها، وهو يقول: هل نسيتم كرات العمليات الخاصة؟

قال «مصباح»: لقد نسيتُها فعلًا، وأرجو أن تعطيَني بعضًا منها.

وبسرعة وزَّع «أحمد» الكرات الصغيرة على الشياطين. ويبدو أنها كانت عاملًا هامًّا من عوامل نشاطهم؛ فقد أخذوا يتحركون بسرعة، غير أن «عثمان» قال متسائلًا: هل نترك السيارة؟

ردَّ «أحمد» بسرعة: إن السيارة تحتاج لمسارٍ خاص، قد لا يتوفَّر لنا؛ ولذلك ينبغي أن نتحرك على أقدامنا.

كان نزول الثلج يزداد، حتى بدَا وكأنَّ كلَّ شيء سوف يتجمد في المنطقة ... في نفس الوقت كان الشياطين يشعرون بالبرد؛ لأن وجوههم مكشوفة ...

بسرعة، أخرج «أحمد» من حقيبته بعض الحبوب الطبية، وقدَّم لكلٍّ منهم حبةً واحدة، أخذ يستحلبها، ولم تمضِ دقائق حتى كانوا يشعرون بدفء رائع، لكن فجأة تغيَّر كلُّ شيء؛ فقد دوَّى صوتٌ مخيف تردَّد صداه في المكان. كانت هناك انهيارات ثلجية تحدث. توقَّف الشياطين في محاولة لرصد حركة الانهيارات، لكنهم لم يروا شيئًا.

علَّق «عثمان»: يبدو أنها انهيارات من الجانب الآخر.

ردَّ «أحمد» بسرعة: هذا يعني أننا في منطقة انهيارات، ولو حدث ذلك، فإننا سوف نكون في موقف صعب ...

سكت لحظة، ثم أضاف: وسوف تتعقد المشكلة أكثر، لو أن الانهيارات وصلَت إلى المنطقة التي توجد فيها الطائرة؛ فإن الثلج سوف يُغطيها، فتختفي تمامًا، بالإضافة إلى أن الموجودين سوف تكون هذه نهايتهم.

ولم يكَد «أحمد» ينتهي من كلماته، حتى تردَدَ صوتُ الانهيارات من جديد، غير أنه هذه المرة لم يكن بعيدًا؛ فقد كان في المنطقة التي يقفون فيها تمامًا. كان الشياطين يرَون كتل الثلج الضخمة وهي تسقط متدحرجة بقوة في اتجاههم.

قال «قيس»: ينبغي أن نعود للغابة بسرعة؛ فالأشجار سوف تحجز عنَّا هذه الكُتل الثلجية.

وفي لمح البصر، عادوا مسرعين، وفي نفس الوقت كان الكلب الصغير يتعلَّق برقبة «أحمد»، وكأنه كان يخشى ما سيحدث هو الآخر. وعندما وضعوا أقدامهم داخل الغابة بأشجارها العالية الضخمة، حتى كانت إحدى الكُتل الثلجية قد اصطدمت بأول مجموعة من الأشجار فهزَّتها بعنف، حتى إن الثلج تساقط من بين فروعها، وكأنَّ الأشجار تُمطر ثلجًا هي الأخرى.

كان الكلب يرتجف بشدة بالرغم من أن «أحمد» كان يغطِّيه بمعطفه. نظر له «أحمد» لحظة كان الكلب ينظر له هو الآخر في استعطاف.

فكَّر «أحمد» لحظة، ثم أخرج من جيبه حبة صغيرة، وضعها في فم الكلب، أخذ الكلب يستحلب الحبة. وبعد قليل، كان يُخرج رأسه من فتحة المعطف؛ فقد شعر هو الآخر بالدفء. ظل الشياطين في مكانهم ينظرون إلى نهاية الغابة، وهي تبدو أمامهم وكأنها سدٌّ منيع، تغطِّيه الكُتل الثلجية التي تَسُد الطريق أمامهم.

قال «فهد»: هل سنقف هكذا ننظر إلى الثلج دون أن نفعل شيئًا؟

رد «عثمان»: وماذا نستطيع أن نفعل؟

قال «فهد»: ينبغي أن نتقدم؛ فقد توقَّفت الانهيارات.

وقال «مصباح»: إننا نكاد نكون محاصَرين تمامًا الآن، وكأننا قد وقعنا في مصيدة الثلج فعلًا.

علَّق «قيس»: وبماذا نسمِّي الآخرين في الطائرة إذا كنا نحن قد وقعنا في المصيدة؟!

لم يعلِّق أحد. كانت الانهيارات قد توقَّفت فعلًا. في نفس الوقت بدأ المطر يقلُّ.

قطع «أحمد» الصمتَ قائلًا: إنني مع رأْي «فهد»، ينبغي فعلًا أن نتقدم، وهذه فرصتنا فقد توقَّفت الانهيارات، وتوقف المطر أيضًا.

تحرَّك الشياطين من جديد، وكان من حظِّهم أن اصطدام الكُتل الثلجية فوق الأشجار قد فتح طريقًا يمكن المرور منه. وبسرعة، كانوا يتقدمون الواحد بعد الآخر، حتى تجاوزوا حاجز الثلج.

في نفس الوقت كان الكلب ينظر لهم في هدوء، وكأنه يفهم كلَّ ما يدور. أخذ الجو يتحسن شيئًا فشيئًا، بينما هم يتقدمون، وكان «قيس» يحدد اتجاه التقدم بواسطة البوصلة. فجأة بدأت رياح عنيفة.

فقال «عثمان»: يبدو أنها مقدِّمة لعاصفة جديدة.

لم يعلِّق أحد؛ فقد كانوا يتقدمون بحماس جعلهم يشعرون بمزيد من الدفء. مضَت ساعة، وهم يزيدون من سرعتهم برغم قوة الرياح، حتى وصلوا في النهاية إلى سفح جبال «الألب». كان الجبل مكسوًّا باللون الثلجي الأبيض. أخذ الشياطين ينظرون إليه، وهو يقف بلا نهاية، فلم يستطع أحدٌ منهم أن يصلَ فعلًا إلى نهاية الجبل، غير أنهم بسرعة قرروا الصعود فوقه؛ فقد كانت بعض علامات الطريق واضحة، بعد أن تقدم «أحمد» طابور السير، ثم تَبِعه «قيس»، و«عثمان»، و«مصباح»، وأخيرًا «فهد». كان الصعود يحتاج للحذر، حتى لا تفلتَ قدمُ أحد منهم. فجأة نبَح الكلب نباحًا قويًّا، حتى إن «أحمد» قال: يبدو أننا قد اقتربنا!

فجأة مرة أخرى، قفز الكلب من «أحمد»، ثم أخذ يصعد الطريق. كان هذا يشير إلى أن الطائرة ليست في منطقة بعيدة. أدار «قيس» جهاز استقبال الإشارات، ثم هتف: هناك إشارات يسجلها الجهاز. تجمَّع الشياطين حوله، ظل الجهاز يسجل، وعندما انتهى، بدأ الشياطين يستمعون إليه. كانت رسالة من الطائرة، تُحدِّد مكان وجودها، وتقول إنهم يكادون يتجمدون من البرد.

قال «أحمد» بسرعة: رُدَّ على الرسالة، وقُل لهم إننا في الطريق.

وعندما أرسل «قيس» الرسالة، كان الشياطين يشعرون وكأنهم حقَّقوا انتصارًا كبيرًا.

سنوي ... بطل المعركة!

كانت فرحة الشياطين لا تُوصف؛ لأن الطائرة هي سبيلهم الوحيد للوصول إلى مقر العصابة، حيث توجد «إلهام»؛ فبدون الطائرة لن يستطيع أحد الوصول إلى هناك؛ ولهذا أسرعوا في سيرهم إلى درجة أن «عثمان» كان يجري فوق الثلج كلما قابلَته منطقة منبسطة.

في نفس الوقت، كان الكلب يُسابق «عثمان» كلما جرى ... وكان ذلك يُخفِّف على الشياطين صعوبة المكان ... وكان توقُّفُ المطر والثلج يدفعهم أكثر لاستغلال الفرصة. فلا أحد يعرف متى يمكن أن تُمطر مرة أخرى.

لكن فرحتهم لم تكتمل. ففجأة ظهرت أجسام بيضاء تتحرك.

نظر «أحمد» إليها في دهشة، كان يفكر: ما هذه الأجسام؟ وهل هؤلاء بعض الرجال الذين يعيشون في جبال الألب أم أنهم من أفراد العصابة؟ ولو كانوا من العصابة، فإن هذا يعني أن الشياطين قد اقتربوا من الهدف؟

كانت أسئلة كثيرة تدور في رأسه. لكن الأسئلة توقَّفت فجأة؛ فقد دوَّت طلقة رصاص بجواره اصطدمت بالثلج، وأحدثت دويًّا تردَّد صداه في صمت المكان. ألقى نفسه بسرعة على الأرض، واختفى خلف نتوءٍ بارزٍ يغطيه الثلج.

في نفس الوقت، تصرَّف الشياطين بنفس الأسلوب، وبدءوا يتفاهمون بالإشارات.

قال «أحمد»: نحن لا نعرف مَن هؤلاء، لكن هذه فرصة طيبة على كل حال.

علَّق «قيس»: إنهم لا يظهرون؛ فهم يلبسون ملابس بيضاء تجعلهم وكأنهم قِطَعٌ متحركة من الثلج.

وعلَّق «مصباح»: لعلهم من سكان المكان!

فعلَّق «فهد»: لا أظن. ربما تكون هذه أول نقطة حراسة في الطريق إلى مقر العصابة.

قال «أحمد»: نرجو أن يكونوا كذلك.

كان الصمت يحيط بالمكان، ولم يكن يُسمع أي صوت. أخرج «أحمد» رأسه من خلف النتوء البارز، فدوَّت طلقة سريعة فوق رأسه تمامًا، فعاد بسرعة، تحدَّث إلى الشياطين بلغة الإشارات، حتى لا يسمعَهم أحد، فقال: إنهم يعرفون مكاننا جيدًا، وينتظرون ظهورنا.

مرَّت لحظة قبل أن يرسم «فهد» إشاراتٍ فَهِمها بقيةُ الشياطين تقول: أخشى أن تكون خُطَّتهم أن يشغلَنا بعضهم حتى يصطادَنا آخرون.

رد «مصباح»: لا أظن أنهم يستطيعون؛ فالمكان ليس له سوى طريق واحد.

علَّق «قيس»: إنهم خبيرون بالمكان أكثر منَّا، وقد يكون هناك طرق أخرى لا نعرفها.

كان «أحمد» يفكر في طريقة يكتشف بها وجودهم، فذلك هو الطريق الوحيد لتحديد أماكنهم. نظر إلى الشياطين، ثم تحدَّث إليهم بالإشارة: سوف نُطلق مجموعة طلقات في وقت واحد، وفي أماكن متفرقة تمثِّل دائرة كاملة؛ إنَّ الردَّ علينا سوف يكشف أماكن وجودهم.

أخرج الشياطين مسدساتهم. رفع «أحمد» يده، ثم أشار إشارة. وعندما أنزل يده انطلقَت مجموعة طلقات في اتجاهات مختلفة تمثِّل فعلًا دائرة حول الشياطين. ومع انطلاق الرصاص كانت طلقات أفراد العصابة تنزل كالمطر، غير أنها كانت محددة المكان؛ فقد جاءت من الأمام.

بسرعة قال «أحمد»: إذن، هناك طريق من اليمين. لقد تحدَّد وجودهم الآن تمامًا.

سكت «أحمد»، لكن صوت طلقات العصابة كان يأتي متفرقًا، وكاد يغطي المكان الذي يختفي فيه الشياطين. كان يفكر: ما الذي يمكن عمله الآن؟ ... إن بقاءَهم على هذا الموقف يعطِّل خُطتَهم. فلا بد من الوصول للطائرة بسرعة. أشار للشياطين، فزحفوا إليه. كان الكلب يلتصق بهم وكأنه يخشى الموقف الذي هم فيه.

قال «أحمد»: ينبغي أن نشترك معهم مواجهة، حتى لا نضيِّع فرصتنا. فإذا كان ركاب الطائرة يشكون من البرد، فإن مرور الوقت يعني أن هذه نهايتهم.

توقَّف فجأة عن الكلام. كان خاطرٌ جديدٌ قد تردَّد في ذهنه، قال: من المؤكد أن العصابة التقطت رسالة الطائرة ... أو التقطت رسالتنا إليها، وهذا هو سبب وجود هؤلاء؛ فمكان الطائرة يمكن أن يكون قريبًا.

لكنَّ مقرَّ العصابة ليس قريبًا كما تُشير المعلومات التي لدينا.

ردَّ «فهد»: إنني أتَّفق معك في هذا الرأي.

تساءل «عثمان»: ولماذا لا يكونون من سكَّان الجبال؟

ردَّ «قيس»: ولماذا يُطلقون علينا الرصاص إذن؟

فجأة، أخرج الكلب رأسه من معطف «أحمد»، ثم أخذ يتشمَّم الهواء. نظر له «أحمد» وهمس: هناك أحد يقترب!

أصدر الكلب صوتًا ليس عاليًا، فعلَّق «أحمد» بسرعة: هذا صحيح، ويبدو أن الكلب مدرَّب، أو أنها غريزة فيه.

نظر الشياطين حولهم في حذرٍ. فجأة أخذ الكلب ينبح بقوة، في نفس اللحظة كان أربعة رجال يقفزون فوق الشياطين. إلَّا أن نباح الكلب، كان قد أعطى الشياطين إنذارًا، فتلقَّوا الرجال الأربعة.

تدحرج «فهد» فسقط الرجل الأول على الثلج. كان قريبًا من «قيس» الذي ضربه ضربة قوية، جعلَته يتدحرج في اتجاه «فهد» الذي كان قد وقف بسرعة، فتلقَّاه.

في نفس الوقت كان «أحمد» قد أمسك بآخر وضربَه ضربة قوية أطاحَت به حتى اصطدم بجسم الجبل. تابعه «أحمد» ثم تلقَّاه بضربات متتالية، جعلَت الرجل يدور حول نفسه.

ثم ضربه «أحمد» ضربة قوية، فسقط بلا حَراك. في نفس اللحظة كان «قيس» يتلقَّى ضربةً قوية من عملاق أبيض، إلَّا أن الكلب كان أسرع، فقفز إلى ساق الرجل، وعضَّه حتى جعله يصرخ، ولم يُكمل ضربته.

وكانت هذه فرصة أمام «قيس» فسدَّد ضربة إلى الرجل جعلَته ينبطح، ولكنه في لمح البصر، كان يقفز مرة أخرى في اتجاه «قيس»، غير أن الكلب كان في انتظاره؛ فقد قفز إلى ارتفاع غريب وصل به إلى وجه العملاق، ثم أعمل أظافره في وجْهه. صرخ الرجل وهو يغطي وجهه، ومرة أخرى كان صيدًا سهلًا.

أما «عثمان» الذي اشتبك مع آخرين؛ فقد ضرَبه رجلٌ ضربةً قوية، إلَّا أن «عثمان» هرب من الضربة وتعلَّق بذراع الرجل التي كانت قوية تمامًا، جعلَت «عثمان» يُصبح بين يدَيه. احتضن «عثمان» حتى لا يُعطيَه فرصةً للضرب، إلَّا أن قدمَ «عثمان» انزلقت، فوقع الاثنان. ولانحدارِ الطريق تدحرجَا بسرعة، نزولًا إلى أسفل الجبل. نظر «أحمد» لـ «عثمان» وخشيَ أن ينتهيَ الموقف بهزيمة «عثمان»، إلَّا أنه في نفس الوقت لم يكن يستطيع أن يفعل شيئًا؛ فقد كانَا ينزلقان بسرعة غريبة. نظر في اتجاه الكلب ولا يدري ما الذي جعله ينادي الكلب باسم «سنوي». كان الكلب يشترك مع «مصباح» في مهاجمة شخص آخر.

ثم توقَّف الكلب عن الهجوم، وكأنه فَهِم أن «أحمد» يُناديه. أشار إليه في اتجاه «عثمان». وفي لمح البصر كان «سنوي» يقفز في اتجاه «عثمان» قفزات سريعة. كان «أحمد»

يراقب ذلك، إلَّا أن مراقبته لم تستمر؛ فقد سقط فجأة فوقه ثقلٌ غريب وقع به إلى الأرض في لمح البصر، تصوَّر أنه أحد الانهيارات الثلجية، لكنه عندما تأكَّد رأى عملاقًا ضخم الجسم، وقد غطَّته الثلوج، وكأنه قد خرج من الثلج فجأة، أو أنه مصنوع من الثلج.

لم يكن سقوط «أحمد» مؤثرًا؛ ولذلك فقد استطاع أن يشتبك مع العملاق وربما لأول مرة في حياته يلتقي برجل له هذه القوة.

ضربَه ضربةً سريعة، إلَّا أن العملاق لم يهتزَّ. كان العملاق قد قفز من إحدى قمم الجبال وانضم إلى أفراد العصابة.

طار «أحمد» في الهواء ثم ضرَب الرجل ضربة قوية، إلَّا أن الرجل أمسك بقدم «أحمد»، حتى إنه سقط هذه المرة وقد شعر أن الدنيا تدور من حوله. سمع — وهو في لحظة الدوار — صوتَ الرجل وهو يصرخ: لا تستخدم المسدس. إن الزعيم …

فجأة، شعر «أحمد» بشيء دافئ يلعق وجهه، فتح عينَيه، فوجد «سنوي» كان كأنه يوقظه، في نفس اللحظة رأى قدمَ العملاق تأخذ طريقها إليه.

وبسرعة تدحرج من مكانه في وقت مناسب، فنزلت قدمُ العملاق فوق الثلج. وبسرعة مرة أخرى ضرب العملاق وهو نائم ضربةً قوية جعلت العملاق يدور حول نفسه ثم يقع على الأرض، وقبل أن يقف «أحمد» على قدمَيه، كان «سنوي» قد قفز إلى العملاق، واستقر فوق وجهه.

كانت فرصته … قفز «أحمد» إلى العملاق الذي لم يكن يستطيع أن يرى شيئًا بسبب «سنوي»، وفي نفس الوقت كان «عثمان» قد ظهر منضمًّا إليه، واشتركَا معًا في مهاجمة العملاق. كانَا يتبادلان ضرْبَه، فلا يجد فرصة لأن يشتبك مع أحدهما، حتى لم يستطع الحركة. وعندما انتهيَا كان بقية الشياطين قد أنهى كلٌّ منهم معركته، وانتهى الموقف كله لصالح الشياطين.

نظر «أحمد» حوله، فرأى «سنوي» يقف وعلى وجهه ما يُشبه الفرح، مدَّ ذراعَيه إليه فأسرع «سنوي»، حتى قفز على صدر «أحمد» الذي احتضنه في إعزاز وقبَّله.

قال «عثمان»: لقد أنقذني من العملاق الذي كاد يفتك بي، ولولاه لكنت قد تلقيتُ عَلْقة ساخنة.

قال «أحمد»: إنني أدعوه «سنوي»، وإن كنت لا أدري لماذا اخترت له هذا الاسم بالذات!

علَّق «مصباح»: لعلك تأثرت بالمكان؛ فالثلج بالإنجليزية «سنو».

قال «أحمد»: هذا تعليل طيب.

سكت لحظة، ثم قال: والآن ينبغي أن نُسرع؛ فقد تعطلنا كثيرًا.

تحرك الشياطين بنشاط، كانت المعركة الرهيبة التي دخلوها قد جعلتهم أكثر نشاطًا وأكثر حماسًا. تقدَّموا. كان «أحمد» يتقدَّمهم وهو يحمل «سنوي»، والذي حاول أن ينزل إلَّا أن «أحمد» أمسك به، ولم يُعطِه فرصة النزول.

انقضى الوقت دون أن يشعروا به، ولم يكن أحد منهم يفكِّر كم الساعة الآن؛ ففي هذا المكان الذي يُشبه الفريزر للثلاجة لم يكن الوقت يختلف طوال النهار. لكن بعد وقتٍ بدءوا يشعرون أن الضوء يختلف، وأن الليل يوشك أن يهبط. قال «أحمد»: سوف يبدأ الظلام كما أعلم، وهذا سوف يشكِّل بالنسبة لنا عطلًا جديدًا.

قال «قيس»: إننا لن نتوقف. إن البطاريات التي نحملها تكفي لأن نستمرَّ في طريقنا.

استمروا في تقدُّمِهم. قال «أحمد» بعد لحظة: هل نرسل إشارة إلى ركَّاب الطائرة؟

ردَّ «عثمان» بسرعة: إن ذلك يكشف وجودَنا، خصوصًا وأن هذه المعركة أكَّدت أن العصابة تضعنا تحت أعينها.

ردَّ «أحمد»: لهذا السبب ينبغي أن نُرسل الإشارة، فما دامت العصابة تعرف ... فإن المعركة قد أصبحت مكشوفة.

اتفق الشياطين على إرسال الإشارة. وقام «قيس» بإرسالها تبعًا للموجة التي التقط عليها الإشارة السابقة. ولم تمضِ دقائق حتى جاءهم الردُّ يقول: إننا في موقف يائِسٍ، لكننا في الانتظار.

لكن فجأة ... وبشكل غير متوقع ... هبط الليل.

مصيدة جديدة من الثلج!

كان الظلام قاتمًا جدًّا، ربما أكثر من أي مكان آخر، وربما من أيِّ ليل عاشه الشياطين في أي مكان. همس «أحمد»: ينبغي أن يكون هناك ما يجعلنا مُتماسكين.

ردَّ «قيس» متسائلًا: ماذا تعني؟

قال «أحمد»: إننا قد نتوه عن بعض في الظلام، وأي صوت نُصدره سوف يكون مسموعًا في هذا الصمت، ونحن لا نأمن فاحتمال أن يكون هناك كمينٌ آخر في الطريق.

همس «مصباح»: إن معي ما يجعلنا دائمًا بجانب بعضنا البعض.

أخرج حبْلًا رفيعًا من حقيبته، ثم مدَّ يده لـ «أحمد» قائلًا: امْسِك مقدمة الخيط، وسوف يَمسكه كلٌّ منَّا، وهكذا نظل على اتصال دائم.

بدأ تحرُّك الشياطين، وكانت حركتهم بطيئة؛ لأنهم لم يكونوا يرون شيئًا، بجوار أنهم لا يستطيعون إشعالَ أيِّ ضوء حتى لا ينكشفَ وجودهم.

فجأة، التقط جهازُ الاستقبال مع «قيس» رسالةً شفرية، فتصوَّر أنها من «إلهام»، ولكن عندما حلَّ رموزها وجدها من رقم «صفر». كانت الرسالة تقول: «أعرف أن الجوَّ سوف يعطِّلكم. ما هي أخباركم الآن؟»

نقل «قيس» الرسالة إلى الشياطين، فقال «أحمد»: ينبغي أن نردَّ ردًّا متفائلًا ... خصوصًا وأننا فعلًا في الطريق إلى الطائرة.

قال «قيس»: ماذا تقترح أن نقول؟!

فكَّر «أحمد» لحظة، ثم قال: إننا في الطريق للخطوة قبل الأخيرة، ونحن على اتصال بـ «إلهام».

أرسل «قيس» رسالة شفرية إلى رقم «صفر»، الذي ردَّ سريعًا قال فيه: أتمنَّى لكم التوفيق!

ولم تمضِ لحظات حتى كان جهاز الاستقبال يستقبل رسالة شفرية أخرى ... استقبلها «قيس» وهو يعرف أنها من «إلهام».

كانت الرسالة تقول: هناك حركة غير عادية في مقرِّ العصابة، ويجب أن تحذروا الطريق.

نقل «قيس» ترجمة الرسالة إلى الشياطين، فقال «عثمان»: ربما تكون الحركة بسبب الطائرة.

أضاف «فهد»: وربما وصلَتهم رسالة عن المعركة.

علَّق «أحمد»: السببان يصلحان لإحداث هذه الحركة.

سكت لحظة ثم أضاف: المهم هو أن نأخذ حذرنا من الطريق، ما دامت رسالة «إلهام» تؤكد ذلك.

فجأة، أصدر «سنوي» صوتًا، فتوقَّف «أحمد»؛ فقد كان يعتمد على «سنوي» تمامًا في هذا الظلام الغريب، وتوقَّف بقية الشياطين؛ فقد كان هناك اتفاق على أنه إذا جذب «أحمد» الحبل مرةً؛ فهذا يعني التوقف، وإذا جذبه مرتين فيعني التقدُّم.

مسح «أحمد» على رأس «سنوي»، فأصدر الصوت مرة أخرى. ثم فجأة ... قفز من حِضْن «أحمد» الذي تركه هذه المرة؛ فقد توقَّع أمرين: إمَّا أن يكون «سنوي» قد شمَّ رائحة أحد الغرباء، أو أنه شمَّ رائحة أصحابه، وهذا يعني أن أحدًا من الطائرة قد غادرها وتاه في الطريق، وهذا يعني أيضًا أن الطائرة اقتربت تمامًا.

ظل الشياطين في مكانهم في انتظار ما سوف يحدث. فجأة، علَا نُباح «سنوي»، ولم يكن النُّباح بعيدًا. جذب «أحمد» الحبل مرتين فتقدَّم الشياطين بسرعة، لكن فجأة سمعوا صُراخ رجل ... وكان الصراخ قريبًا ... تأكَّد «أحمد» أن «سنوي» قد اكتشف وجودَ شخص غريب. فجأة لمع ضوء، فكشف المكان الذي صدر منه صُراخ الرجل، وظهر عددٌ من الرجال المسلحين. في نفس اللحظة صدرت طلقة تردَّد صداها في صمت المكان، ولَمع ضوءُها في الظلام.

فكَّر «أحمد» بسرعة: إن المقصود بهذه الطلقة هو الخلاص من «سنوي» إلى الأبد.

أسرع الشياطين في نفس الاتجاه، وكان الظلام قد عاد من جديد؛ فقد أطفأ الرجال الضوء الذي أشعلوه، لكن الشياطين كانوا قد حدَّدوا أماكنهم بالضبط. وبطريقة اللمس حدَّد لهم «أحمد» ما سوف يفعلونه.

قال لهم: سوف نفترق في هدوء شديد، ثم نقفز عليهم لننتهيَ منهم.

وبدأ الشياطين ينفذون الخطة؛ اقتربوا أكثر فأكثر ... حتى بدءوا يسمعون همساتهم.

سمع «أحمد» أحدَهم يقول: لقد اختفى الكلب.

ردَّ آخر: إنه كلب غريب عن المكان، فهذه الكلاب لا تعيش في الخلاء، أو في مناطق الثلج، ولا بد أن أحدًا غريبًا هنا.

ردَّ ثالث متسائلًا: ربما يكون لأصحاب الطائرة المفقودة؟

رد الأول: ربما.

سكت لحظة، ثم أضاف: لقد أخطأت؛ لأنك لم تُصبه ... هذا اللعين!

شعر «أحمد» بالسعادة، لقد نجا «سنوي» من رصاصهم. في نفس الوقت، سمع أحدهم يقول: إنه في لون الثلج تمامًا؛ ولهذا لم أستطع تحديد مكانه.

كان الشياطين قريبين منهم الآن ... وبلغةِ اللمس، قال «أحمد»: على كلِّ واحد أن يتأكد تمامًا من هدفه؛ فإن أيَّ خطأ سوف يُفقدنا فرصة المفاجأة.

فجأة شعر «أحمد» بأنفاس حارة تتدافع بشدة. عرف أنها أنفاس «سنوي» الذي التصَق بـ «أحمد» تمامًا. حمله ثم قبَّله واحتضَنه. لقد كشف «سنوي» لهم هذا الكمين الجديد، ولولاه لوقعوا في أيدي العصابة.

مرَّت دقائق، كان الشياطين فيها يستعدون، وكان حظهم جيدًا. ففجأة دوَّى الرعد ... وكأن جبال «الألب» سوف تسقط، حتى إن أحد الرجال قال: إن ذلك يعني حدوث انهيارات ثلجية جديدة، وينبغي أن نقترب من المخبأ ...

أضاف آخر: خصوصًا وأنه لم يظهر أحد.

فجأة، مرة أخرى، لمع البرق لمعانًا شديدًا، حتى جعل المنطقة كلها كالنهار. وكانت هذه هي الفرصة الملائمة؛ فقد قفز الشياطين فجأة على الرجال. وكانوا ثمانية يقفون فيما يُشبه نصف دائرة؛ ولذلك كان «أحمد» و«فهد» في الطرفين، قفزَا معًا، ثم ضربَا الطرفين إلى الداخل في حركة «كاراتيه» صائبة، فاصطدم ببقية المجموعة، وسقط ... الجميع على الأرض. وبسرعة كان «قيس» و«عثمان» و«مصباح» و«سنوي»، قد اندفعوا في قوة إليهم. وقبل أن يقف أحدهم كانت ضربة سريعة قد خرجت من يد «عثمان» إليه فأعادته. تدحرج أحدهم بسرعة، وهو يحاول أن يخرج مسدسه، إلَّا أن «سنوي» كان أسرع منه، فانقض عليه يعضُّ يده؛ مما جعل الرجل يصرخ، في الوقت الذي كان «مصباح» قد تابعه، فضربه ضربة قوية جعلَته يتدحرج بسرعة، حتى يصل إلى حافة الجبل، ثم يسقط مختفيًا.

كان من حظِّ الشياطين أيضًا أن البرق ظلَّ يتوالى مع حدوث الرعد، فأصبح الموقف في أيديهم تمامًا. وبينما كان «فهد» و«قيس» و«عثمان»، يربطون كلَّ اثنين منهم معًا، كان

«أحمد» قد قبض على السابع، واحتفظ به؛ فقد فكَّر «أحمد» بسرعة أمام الكلمات التي سمعها منهم، عندما قال أحدهم: علينا أن نقترب من المخبأ.

وعندما قال آخر: إن الرعد يعني انهيارات ثلجية.

وإذا حدث هذا فإنهم قد يتعرضون لمصاعب كبيرة ... ما لم تكن هذه نهايتهم ... عندما انتهوا من ربط أفراد العصابة، جرُّوهم إلى مكان، يبدو وكأنه حفرة كبيرة، ثم ألقوهم فيها. في نفس الوقت قال «أحمد» بسرعة: هيَّا، ينبغي أن نتحرَّك قبل أن يحدث أيُّ شيء.

كان «سنوي» قد أسرع وقفز إلى حِضْن «أحمد» ليستمدَّ منه الدفء. في نفس الوقت كان «فهد» يجرُّ رجل العصابة المربوط. تحدَّث «أحمد» بلغة الشياطين التي لا يفهمها غيرهم، قال: إنني أفكِّر في أن نبيتَ الليلة هنا حتى لا تفاجئنا أيةُ انهيارات ثلجية.

تساءل «عثمان»: ألَا يُعطِّلنا ذلك؟

تساءل «مصباح»: وركاب الطائرة هل نتركهم ليلة أخرى؟!

مرَّت دقائق. كان «أحمد» يفكر فيما طرحه «عثمان» و«مصباح» ... ثم قال: إذا تأخرنا ساعات، فسوف يكون ذلك خيرًا من أن ننتهيَ إلى الأبد.

دوَّى صوت الرعد من جديد، وغطَّى ضوءُ البرق المكان. نظر «أحمد» إلى رجل العصابة وسأله: هل تتوقع انهيارات ثلجية الليلة؟

ردَّ الرجل بعد لحظة: ليس توقُّعًا، ولكنه ضرورة. إنَّ هذا الرعد يحرِّك القِمم الثلجية في الجبال، فتتهاوَى لتبدأ الانهيارات.

سأله «أحمد» مرة أخرى: هل يمكن أن تتوقَّع متى سوف تحدث؟

وقبل أن يُجيب الرجل، كان صوت الانهيارات قد بدأ، فقال الرجل: ينبغي أن تلجأ إلى المخبأ الآن، قبل أن تصل الانهيارات إلينا.

سأله عثمان بسرعة: هل المخبأ بعيد؟

ردَّ بسرعة: ليس ببعيد، ولا ينبغي أن تضيِّعوا الوقت في الأسئلة والإجابات فتُفاجئنا الانهيارات وننتهي.

نظر له «أحمد» لحظة: هل هناك أحد؟

تردَّد الرجل ثم قال: اثنان.

قبض «أحمد» على ذراع الرجل بقوة، ثم قال: وماذا سوف تفعل؟

ردَّ الرجل: لا أظن أنني سوف أترككم. هيَّا بنا الآن، وسوف أتحدث إليهما بما يُطمئنهما. فقط، يجب أن تَعِدوني أن تكونوا أكثر رفقًا بهما.

ردَّ «أحمد»: سوف نكون كذلك، ما لم يُقدِمَا على شيء.

أشار الرجل برأسه في اتجاه اليمين، وقال: إن المخبأ من هذا الاتجاه، وهو لا يبعد كثيرًا.

تردَّد صوت الرعد بعنف أكثر وبَرَق البرقُ، ثم فجأة، بدأ سقوط الأمطار الثلجية. بدأَت ضعيفة، ثم أخذَت تزداد وتزداد، حتى بدَا وكأنها سوف تصنع حول الشياطين مصيدة جديدة.

أسرع الشياطين في الاتجاه الذي حدَّده الرجل. فجأة ارتفع صوتُه بأغنية لم يعرفها الشياطين. كانت الأغنية تقول: الآن وأنا عائدٌ إلى البيت، أحمل صيدي الطيور الجميلة، وأكلها جميل أيضًا، خصوصًا في ليالي الشتاء.

سأله «أحمد» بسرعة: لماذا تغنِّي؟!

ردَّ الرجل: إنها شفرة، عندما نكون قد حققنا انتصارًا، وسوف يعرفان أنَّ كلَّ شيء يمرُّ بسلام.

اقتربوا أكثر، وأعاد الرجل غناء الأغنية مرة أخرى ... وعندما انتهى منها، سمعوا صوتًا يغنِّي وكأنه ردٌّ على غناء الرجل. كانت الأغنية الأخرى تقول: في ليل الشتاء القارس، يحلو الطعام الساخن، وأحلى طعام في الشتاء، هو الطيور التي اصطدناها.

كانت أغنية رقيقة فعلًا سواء الأولى، أو الثانية. فجأة، لمع ضوء، وظهر بجواره رجلٌ كان يبدو واقفًا في مدخل المخبأ. وصاح: جاكو. أنت وحدك؟

ردَّ الرجل: معي بعض الضيوف.

وعندما اقتربوا تمامًا انقض «عثمان» فجأة على الرجل، وكتَّف ذراعَيه. وفجأة كانت كُتَل الثلج تسقط في عنف، ووقع الشياطين في مصيدة ثلج جديدة.

وكانت هذه مغامرتهم القادمة.

وإلى اللقاء في القصة القادمة.

هنـــداوي